

(إذا) في القرآن الكريم دراسة نحوية

أ.م.د. عبد الجبار فتحي زيدان
جامعة الموصل / كلية التربية الأساسية

تاريخ تسليم البحث : 2005/7/3 ؛ تاريخ قبول النشر : 2005/10/26

ملخص البحث :

تطرق البحث الى دراسة (إذا) الظرفية المضمنة معنى الشرط في القرآن الكريم ودلالاتها الزمانية ، وحالات ربط جوانبها بالفاء وعلة ذلك من الناحية النحوية ، وتطرق البحث كذلك الى (إذا) الظرفية غير المضمنة معنى الشرط ، والى (إذا) الفجائية التي وردت مقترنة بالفاء وغير مقترنة وذكر الفرق في الدلالة بين الحالتين .

Linguistics study of (IDA) in Holly Quran

Dr. Abdul Jabar Fathi Zaidan

Mosul University\ College of Basic Education

Abstract:

The Research deals with studies the conditional (IDA) as one of conditional in Holly Quran and it's meaning grammatical from (present , put.ect..) and the linking or dislinking it with (FAA) and the resean for that .

The research also deals with (IDA) which doesn't imply any conditional meaning and finally (IDA) which occurs temporally which also either linked or dislinked with (faa) and pointing as difference in both cases .

بسم الله ، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وصحبه اما بعد فقد ذكر النحاة ان (إذا) تأتي شرطية غير جازمة ، وظرفية وترد لمعنى المفاجأة ، والجدير بالذكر ان ابن مالك في الفيته لم يتطرق الى (إذا) في باب الظرف ، ولم يتطرق الى أدوات الشرط غير الجازمة التي من ضمنها (إذا) ولا الى (إذا) الفجائية الا في حالة وقوعها جوابا للشرط عوضا عن الفاء وذكرت في موضوع اضافة الظرف الى الجملة .

وكذلك لم يتطرق اليها شراح هذه الالفية كابن هشام وابن عقيل والاشموني وغيرهم إذ تناولوا بالشرح ما تضمنته واهملوا ما أهملته ولم أجد كلاما على (إذا) يستحق الذكر في كتب المعاني كمعاني القرآن للفراء ومعاني القرآن للاخفش ، وقد وردت (إذا) في القرآن الكريم في ثلاثة معان : ظرفية مضمنة معنى الشرط ، وظرفية غير مضمنة معنى الشرط وفجائية ، وقد كثر كلام النحاة والمعرّبين وتعليقاتهم على (إذا) بمعناها الأول لذلك كان كل من المبحث الثاني والثالث قصيرا بالقياس الى المبحث الأول .

المبحث الأول : (إذا) الظرفية المضمنة معنى الشرط

- **تعريفها :** تعد (إذا) من أدوات الشرط غير الجازمة ، وهي ظرف مبهم مبني على السكون⁽¹⁾.
 - **عاملها :** يذكر النحاة ان (إذا) لا يعمل فيها الفعل الذي يليها ، لأنها مضاف والمضاف اليه لا يعمل في المضاف شيئا بلا خلاف ويعمل في (إذا) الجواب حيث وقع⁽²⁾ وقيل ان العامل فعل الشرط⁽³⁾ .

- **دلالتها :**

ذكر ابن قيم الجوزية ان المشهور عند النحاة ان الشرط والجزاء لا يتعلقان الا بالمستقبل فان كان ماضي اللفظ كان مستقبل المعنى ورد على النحاة بقوله تعالى : ((ان كنت قلته فقد علمته)) "المائدة : 116" واكد ان الشرط ((دخل على ماضي اللفظ وهو ماضي المعنى قطعاً)) واستبعد تأويلات النحاة في تخريج هذه الآية ووصفها بأنها ضعيفة جدا وبين ان فيها تحريفا للآية لا يقول به عاقل وانه لا يجوز تحريف كلام الله . انتصارا لقاعدة نحوية انتهى كلام ابن القيم والتأويل الذي انتقده مدون في بعض كتب النحو فقد قيل في قوله تعالى (ان كنت قلته فقد علمته) "المائدة : 116" وهذا جواب عيسى عليه السلام يوم القيامة حين خاطبه الله جل وعلا في هذه الآية : (أأنت قلت للناس اتخذوني وامّي الهين) فالشرط والجواب هنا فعل ماض لفظا ومعنى الا انه أول على ان المراد ان يتبين في المستقبل اني قلته في الماضي فانا اعلم انك قد علمته وكذلك قوله تعالى (ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل) "يوسف : 77" أول بمعنى : ان يسرق في المستقبل فاخبركم انه سرق أخوه وقيل بان الجواب محذوف والمذكور تعليل له ، أي : ان يسرق بنيامين فلنتأسّ لانه قد سرق أخ له من قبل وهو يوسف عليه السلام ، وقوله تعالى :

(وان كان قميصه قد من دبر فكذبت) "يوسف :17" والمعنى : ان يتبين قد قميصه من دبر فاعلموا أنها كذبت ، وقيل ايضا بان الجواب محذوف والمذكور تعليل له ، أي : وان يتبين قد قميصه من دبر فهو بريء لأنها كذبت ، ونظيره (وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) " فاطر :4" أي : فتسل بمن قبلك⁽⁴⁾ ومما لاشك فيه ان ابن القيم قد وجد مثل هذا التاويل وكذلك احتج الدكتور فاضل السامرائي في هذا الباب بقوله تعالى : (حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنوا إسرائيل) " يونس :90" وقوله تعالى (حتى إذا ركبا في السفينة خرقها) "الكهف : 71"⁽⁵⁾ وعلى الرغم مما قاله ابن القيم رحمه الله، فاني لم أجد أحدا من النحاة المشهورين كسيبويه (ت:180هـ) والفراء من الكوفيين (ت:207هـ) والأخفش الأوسط (ت:215هـ) والمبرد (ت:285هـ) والنحاس (ت:338هـ) والزجاجي (ت:340هـ) وابن جني (ت:392هـ) وغيرهم من النحاة فاني لم أجد أحدا من هؤلاء حسب اطلاعي من حصر دلالة الشرط على الزمن⁽⁶⁾ المستقبل ومنع دلالاته على الزمن الماضي بيد انهم عرفوا الشرط كإذا الشرطية بأنها تستعمل ظرفا لما يستقبل من الزمان واكدوا ان الأصل فيها ذلك⁽⁷⁾ لذلك فان النحاة قد بينوا ان الشرط قد يخرج عن الاستقبال ويجيء للماضي كقوله تعالى (ولا على الذين إذا ما اتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه) "التوبة:92" وقوله تعالى : (واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها) " الجمعة : 11" وقوله تعالى (حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا) " الكهف : 93"⁽⁸⁾.

بل قد جعل النحاة دلالة جواب الشرط على الزمن الماضي لفظا ومعنى من الحالات التي توجب اقترانه بالفاء " اما حقيقة نحو (ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل) يوسف : 187 " ونحو (ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين . وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) " يوسف : 26-27 " وقد هنا مقدرة واما مجازا نحو (ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم بالنار) "النمل : 90 " نزل هذا الفعل لتحقيق وقوعه منزلة ما وقع " ⁽⁹⁾.

فقد استعملت (إذا) الشرطية ظرفا للزمن الماضي وظرفا للزمن المستقبل على حد سواء

على النحو الاتي :

1. استعملت ظرفا للزمن الماضي تكرر فيه الشرط وجوابه كقوله تعالى (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا) " يوسف : 101" فهذه سنة الله مع رسله فيما مضى من الزمان . وكقوله تعالى (واذا بشر احدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم) " النحل : 58" ، هكذا كان العرب في الجاهلية كانوا مستمرين في احتقار الانثى وقوله تعالى : (إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال) " الكهف :17" وقد استمرت هذه الحالة ثلاث مئة سنة وتسع سنوات قمرية كما اخبر بذلك القرآن الكريم .

2. استعملت ظرفا للزمن الماضي وقع فيه الشرط وجوابه مرة واحدة ، ورد هذا في قصة الخضر مع موسى عليه السلام كقوله تعالى (حتى إذا ركبا في السفينة خرقها) " الكهف : 71 " وقوله تعالى (حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا) " الكهف : 74 " وقوله تعالى (حتى إذا اتيا اهل قرية استطعما أهلها) " الكهف : 77 " وقوله تعالى عن ذي القرنين (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة) " الكهف : 86 " وقوله تعالى (حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) " الكهف : 90 " وقوله تعالى (حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال ءاتوني افرغ عليه قطرا) " الكهف : 96 " وقوله تعالى (حتى إذا اتوا على وادي النمل قالت نملة) " النمل : 18 " وقوله تعالى (لقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) " غافر : 34 " .

والجواب في هذه الايات والايات التي سبقتها فعل ماض لفظا ومعنى من هنا يتبين ان كون الجواب فعلا ماضيا لفظا ومعنى لا يعد من الحالات التي يجب ربطه بالفاء وانما يجب ذلك في حالتين احدهما اذا اريد تأكيد وقوع ما وقع او تحقيقه ويكون ذلك عند سبقه بقدر ظاهرة كقوله تعالى (ان كنت قلت فقد علمته) "المائدة : 116 " او بتقدير (قد قبله كقوله تعالى (ان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) " يوسف : 27" وكذلك الجواب الذي لم يقع بعد فانه يقترب بالفاء اذا اريد انزاله لتحقيق وقوعه منزلة الفعل الماضي المسبوق بقدر وليس عندما يراد انزاله منزلة ما وقع فحسب كقوله تعالى (ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار) " النحل : 90" أي فقد كبت والشرط في هذه الايات كان سببا لوقوع الجواب لذلك اقتضى ان يكون زمان الثاني حاصلًا بعد زمان الاول وهو الغالب في اسلوب الشرط .

والحالة الثانية انه يجب سبق الفعل الماضي بقدر واقتترانه بالفاء اذا كان زمانه قبل زمان الشرط كقوله تعالى (ان سرق فقد سرق اخ له من قبل) "يوسف : 77" والمعنى ان يسرق بنيامين صواع الملك فان اخاه يوسف قد سرق من قبل وفي كتب التفسير ان يوسف عليه السلام سرق صنما لابي امه من ذهب وكسره لئلا يعبدوه وقد قال اخوة يوسف هذا من باب تسويغ سرقة بنيامين ان صحت لا من باب التأسى ولا من باب حذف الجواب وجعل المذكور تعليلا له ويقال الكلام نفسه في قوله تعالى (وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) " فاطر : 4" والمعنى : ان يكذبك قومك فقد كذب الاقوام رسلهم من قبل فلا تحزن ولا يضيق صبرك ولم يرد جواب اذا فعلا ماضيا مسبوqa بقدر او مقترنا بالفاء .

3. استعملت ظرفا للزمن المستقبل وقع فيه الشرط وجوابه مرة واحدة ولكن في زمن قد مضى وانقضى كقوله تعالى عن خلق ادم عليه السلام (فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فبقوا له ساجدين) " الحجر : 29 " ص: 72 . وقوله تعالى (واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا

خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين " القصص : 7 " فالشرط وجوابه في هاتين الايتين الكريمتين قد تم حصولهما ووقوعهما .

4. استعملت ظرفا لزمان معين من ازمة المستقبل يقع فيه الشرط وجوابه مرة واحدة فالشرط بعد (إذا) في هذه الحالة كالحالتين السابقتين لا يفيد التكرار كقوله تعالى (حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون) " الانعام : 6 " فالموت مستقبل كل حي ، ولا يقع لكل مخلوق الا مرة واحدة ، وقوله تعالى (حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا) " الانعام : 31 " .

5. استعملت ظرفا للزمان الحالي والمستقبل كقوله تعالى (وترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت) " قصص : 39 " فشرط (إذا) وجوابه هنا يتكرر ما بقيت الارض والسماء ، وقوله تعالى (يا ايها الذين امنوا اذا تدانتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه) " البقرة : 282 " فهذا ما ينبغي العمل به الان وفي المستقبل ، وقوله تعالى (يا ايها النبي اذا طلقت النساء فطلقوهن لعدتهن) " الطلاق : 1 " فهذا شرع الله مأمور به المسلم في كل زمان ومكان .

- دخولها على الجملة الاسمية :

قد تدخل (إذا) على الاسماء كقوله تعالى : (اذا الشمس كورت) " التكوير : 1 " الا ان النحاة يعربون الاسم بعدها فاعلا لفعل محذوف يفسره المذكور بعده والتقدير : اذا كورت الشمس وتقدير قوله تعالى : (اذا السماء انشقت) " الانشقاق : 1 " اذا انشقت السماء ⁽¹⁰⁾ فاذا عندهم لا تقع الاعلى الافعال ⁽¹¹⁾ هذا هو المشهور وفي ذلك خلاف لكثرة دخول (إذا) على الاسماء ⁽¹²⁾ وقد اجاز الكوفيون وقوع المبتدا والخبر بعدها ، لانها ليست شرطا في الحقيقة وزعم السيرافي ان سيبويه والاعفش اجازا دخول (إذا) على المبتدا واختلفا في خبره فوجب الاول ان يكون فعلا واجاز الثاني ان يكون اسما او فعلا ⁽¹³⁾ . ومن امثلة ذلك دخول اذا على الاسم كقوله تعالى في سورة التكوير 1-14 (اذا الشمس كورت) لفت فذهب ضوءها واتقادها والقيت من فلکها (واذا النجوم انكدرت) اظلمت وتناثرت وهوى بعضها على بعض (واذا الجبال سيرت) فسبحان من سيرها بعد ان كانت ثابتة راسخة مستقرة (واذا الوحوش حشرت) من الدواب والطيور والوحوش ، ماج بعضها الى بعض ، او جمعت لتحاسب ثم تكون ترابا بامر الله (واذا العشار عطلت) وهي النوق التي مر على حملها عشرة اشهر ، فتكون محبوبة عزيزة على مالکها ، يتركها اصحابها وتهمل لاشتغالهم عنها بانفسهم في اليوم العصيب (واذا البحار سجرت) اصبحت نيرانا تلتهب (واذا النفوس زوجت) بابدانها منذ ان فارقتها عند الموت (واذا المؤودة ستلت) . باي ذنب قتلت) سالت لم دفنت وهي حية فقتلت من غير ذنب ، فطالبت بدمها (واذا الصحف نشرت) صحف

اعمال كل انسان بعد ان كانت مطوية (واذا السماء كشطت) قلعت من مكانها (واذا) الجحيم سعرت) زادها الله سعيرا (واذا) الجنة ازلفت قربت من اهلها، ومن ذلك قوله تعالى (اذا السماء انفطرت ، واذا الكواكب انتشرت واذا البحار فجرت ، واذا القبور بعثرت) " الانفطار : 1-4 " فتفجر البحار بعضها الى بعض ، ويبعث الناس من قبورهم احياء كما كانوا في الدنيا قبل موتهم ، ومن ذلك قوله تعالى (فاذا النجوم طمست ، واذا السماء فرجت واذا الجبال نسفت . واذا الرسل أقتت) (المرسلات 7-10) والذي يلحظ في هذه الآيات الكريمة تكرار (اذا) وتكرار عطفها وانتهاء كل أية تضمنتها بفعل ماض اتصل بتاء التأنيث الساكنة وفي غير ذلك لم يتقدم الفاعل على الفعل كقوله تعالى (اذا زلزلت الأرض زلزالها (الزلزال : 1) وقوله تعالى (اذا ارجت الأرض رجاً . وبست الجبال بساً) (الواقعة: 4-5) وقوله تعالى (اذا دكت الأرض دكا) (الفجر : 21) وقوله تعالى (فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر . يقول الانسان يومئذ اين المفر) (القيامة: 7-10) والذي يبدو أن المشاهد في مثل هذه الآيات الكريمة تختلف عما سبقتها في أنها تتعلق بما يحدث في المجموعة الشمسية التي من ضمنها الارض التي نعيش عليها واعظم ما يحدث فيها من مشاهد جمع الشمس مع احد أحفادها وهو القمر التابع للأرض في حين أن الآية مثلاً (واذا الكواكب انتشرت) والاية (واذا النجوم انكدت) شملت كل منهما تهاوي النجوم والكواكب بعضها على بعض في السماء الدنيا هذه السماء التي تضم ملايين المجرات التي تضم كل منها ملايين النجوم مع كواكبها واقمار كواكبها لذلك تقدم فيها الفاعل على فعله لتعظيم امر الحدث الذي سلط عليه .

- عدم ارتباط جوابها بالفاء :-

يجيء جواب (اذا) غير مرتبط بالفاء في المواضع الآتية :

1. اذا كان الجواب فعلاً ماضياً كقوله تعالى (وأذا قيل له اتق الله اخذته الغرة بالأثم) (البقرة : 6 0 2) وقوله تعالى (واذا أظلم عليهم قاموا)) (البقرة : 20) وقوله تعالى (فاذا جاء امر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون) (فاطر : 78) .
2. اذا كان الجواب فعلاً مضارعاً كقوله تعالى (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) (المائدة : 83) وقوله تعالى : (حتى اذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين) " الانعام : 25 " وقوله تعالى : (واذا تتلى عليهم اياتنا تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر) " الحج : 72 " .
3. اذا كان الجواب فعلاً مضارعاً مجزوماً بلم النافية كقوله تعالى (والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً) " الفرقان : 73 " . قيل بان جواب (اذا) محذوف والراجح ان

الجواب هو (ان يتخذونك الا هزوا) ولم يرتبط بالفاء لان (ان) نافية انتقض نفيها بالا فهو بتقدير يتخذونك (14) .

4. اذا كان الجواب فعلا مضارعا مقترنا بلا النافية كقوله تعالى (فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) " الاعراف : 34 " وقوله تعالى (واذا ذكروا لا يذكرون) " الصافات : 13 " وقوله تعالى (واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون) " المرسلات : 8 " وقد جاء الجواب مقترنا بالفاء في قوله تعالى (اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) " يونس : 49 " ويذكر النحاة ان هذا على تقدير مبتدأ محذوف ، أي : فهم لا يستأخرون (15) .

ارتباط جوابها بالفاء :

يجيء جواب (إذا) مرتبطا بالفاء في المواضع الآتية :

1. اذا كان الجواب دالا على الطلب وقد ورد بثلاث صيغ الاولى : صيغة فعل الامر كقوله تعالى : (فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم) " البقرة : 239 " وقوله تعالى : (فاذا عزمتم فتوكل على الله) " ال عمران : 159 " وقوله تعالى : (واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها) " النساء : 86 " . الثانية : صيغة الفعل المضارع المجزوم بلا النافية كقوله تعالى : (يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار) " الانفال : 15 " الثالثة : صيغة الفعل المضارع المجزوم بلام الامر كقوله تعالى (فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم) " النساء : 102 " .

2. اذا كان الجواب جملة اسمية وقد ورد بالصيغ الآتية الاولى : جملة مركبة من لا النافية للجنس واسمها وخبرها كقوله تعالى : (فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف) " البقرة : 234 " وقوله تعالى : (واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له) " الرعد : 11 " وقوله تعالى (فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) " المؤمنون : 101 " الثانية : جملة مركبة من ليس واسمها وخبرها كقوله تعالى : (واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة) " النساء : 101 " الثالثة : جملة مركبة من (إنّ) واسمها وخبرها كقوله تعالى : (فاذا دخلتموه فانكم غالبون) " المائدة : 23 " الرابعة جملة تقدم فيها الخبر وهو شبه جملة كقوله تعالى : (واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا) " التوبة : 125 " الخامسة : جملة مركبة من (ما) النافية الداخلة على الجملة الاسمية كقوله تعالى (اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقنوهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها) " الاحزاب : 49 " .

3. اذا كان الجواب فعلا مضارعا مقترنا بسين الاستقبال كقوله تعالى : (حتى اذا رآوا ما يوعدون فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا) " الجن : 24 " .

4. اذا كان الجواب فعلا جامدا بمعنى (بئس) كقوله تعالى (فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين) " الصافات : 177 " .
5. اذا كان الجواب مصدرا ناب عن فعل الامر كقوله تعالى (واذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) " محمد : 4 " فالمصدر (ضرب) وقع جواب الشرط ووجب اقترانه بالفاء لانه بتقدير : فاضربوا ضرب الرقاب (16) .
6. اذا كان الجواب مصدرا ب (انما) كقوله تعالى (واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون) " البقرة : 117 " .
7. ورد جواب (اذا) مقترنا بالفاء في قوله تعالى : (وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون) "النحل:53". فجواب (اذا) هنا فعل مضارع تقدم عليه الجار والمجرور المتعلق به، وقد افاد تقدمه التخصيص أي انهم لا يدعون اذا مسهم الضر الا اياه.
8. اذا كان الجواب جملة شرطية كقوله تعالى : (حتى اذا بلغوا النكاح فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم) " النساء : 6 " فجواب (اذا) فان انستم (17) وكقوله تعالى : (فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) " النساء : 25 " .
- وذكر في قوله تعالى : (فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن) "الفجر:15" بان جواب (اذا) فيقول (18). والذي يبدو ان (فيقول) جواب (اما) لما ياتي :
1. المشهور في كتب النحو ان جواب اما قلما يحذف وهذا حاله في القرآن الكريم اما جواب (اذا) فكثيرا ما يحذف في كتاب الله .
2. جواب (اما) يجب اقترانه بالفاء اما جواب (اذا) فيجب عدم اقترانه بالفاء في مواضع منها ان يكون الجواب فعلا مضارعا عبر مسبوق بالسین وسوف او لن او قد كالفعل: يقول ولم يرد جواب (اذا) فعلا مضارعا مقترنا بالفاء الا عند سبقه بلا النافية وفي موضع واحد.
3. في كتب النحو ان (اذا) ترد شرطية وترد غير شرطية لاتحتاج الى جواب .
- استنادا الى ذلك فانه من الشذوذ القول بان جواب (اما) محذوف ، كما انه يتعذر تقديره في هذه الاية الكريمة ، لكن ليس من الشذوذ ، بل من الوارد كثيرا القول بان (اذا) هنا شرطية حذفت جوابها لدلالة جواب (اما) عليه ، او ظرفية غير مضمنة معنى الشرط لا تحتاج الى جواب .

علة الربط بالفاء :

لم يذكر النحاة علة هذا الربط وقد تبين ان الشرط لا يكون الا فعلا ماضيا او مضارعا دالا على الحال والاستقبال ، فاذا كان الجواب كذلك او قريبا منه في هذه الدلالة ، فلا يحتاج الى ربطه بالفاء لارتباطهما بوحدة الزمن ، ويكون ذلك اذا كان الجواب فعلا ماضيا او مضارعا مثبتا او منفيا ، فاذا اختصت دلالة الجواب بالمستقبل لاقتترانه بـ (لن) او (سين) او سوف اختلفت الدلالة الزمانية فاحتاج الجواب الى ربطه بالفاء وكذلك عند جعل الجواب دالا على تحقيق حصوله ، وكذلك اذا كان الجواب فعل امر او فعلا مضارعا مسبوqa بلا الناهية او بلام الامر وهي صيغ تدل على الطلب فيؤتى بالفاء لربط الجواب الانشائي بالشرط الخبري ، وكذلك اذا كان الجواب جملة اسمية فيؤتى بالفاء لربط ما يدل على الثبات بما يدل على التجدد والحدوث .

حذف جواب (إذا)

حذف جواب (إذا) في القرآن الكريم في مواضع كثيرة وكثيرا ما اختلفت المعربون في تحديد هذا الجواب وجواب الشرط لم يحذف في القرآن الكريم عبثا ، وانما حذف لامر من الامور يمكن اجمالها فيما يأتي :

1. حذف الجواب لوجود ما يدل عليه :

كقوله تعالى (وان اردتم ان تسترصفوا اولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما اتيتم بالمعروف) " البقرة : 233 " وجواب (اذا) في هذه الآية محذوف لدلالة الشرط الاول وجوابه عليه ⁽¹⁹⁾ ومن ذلك قوله تعالى (فاذا طلقتم النساء فبلغن احلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف) " البقرة : 232 " ومن ذلك قوله تعالى (ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا) البقرة : 282 " وقوله تعالى (واشهدوا اذا تباعتم) " البقرة : 282 " وقوله تعالى (والموفون بعهدهم اذا عاهدوا) " البقرة : 177 " وقوله تعالى (ذلك كفارة ايمانكم اذا حلقتم) " المائدة : 89 " وقوله تعالى (انظروا الى ثمره اذا اثمر) " الانعام : 99 " فقد حذف جواب (اذا) لانه تقدمها ما يدل عليه . وكذلك يحذف اذا كانت دلالتها مذكورة ضمنا في العبارة التي حلت محله كقوله تعالى (اء اذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد) " ق:3 " وتقدير الجواب : نرجع ، دل عليه (ذلك رجع بعيد) وقوله تعالى (ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون) " المؤمنون : 35 " وتقدير الجواب : تخرجون ، وقوله تعالى (اء اذا كنا ترابا اءنا لفي خلق جديد) " الرعد : 5 " والتقدير : نخلق من جديد وقوله تعالى (اء اذا متنا وكنا ترابا وعظاما اءنا لمبعوثون) "

المؤمنون : 82 " والتقدير : نبعث وقوله تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين) " الجاثية : 25 "

جاز ان يكون (اذا) هنا ظرفية لشرطية فلا تحتاج الى جواب ، وجاز ان تكون شرطية حذف جوابها وتقديره : عمدوا الى الحج الباطلة ⁽²⁰⁾ لدلالة (ما كان حجتهم) عليه ومن ذلك قوله تعالى (فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) " محمد : 21 " والتقدير : فاذا عزم الامر فاصدق ⁽²¹⁾ فقد حذف الجواب اذ دل عليه قوله تعالى (فلو صدقوا الله) فحذف الجواب في هذه الآية وفي الايات التي سبقتها ابلغ من التصريح به ، لانه اغنى عن ذكره وجود ما يدل عليه .

2. حذف الجواب للعلم به :

من ذلك قوله تعالى (حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم) " ال عمران : 152 " فشلتم : جبنتم وضعفتم واختلف في جواب اذا فقد قيل انه محذوف تقديره : بان امركم او امتحنتم او صرفكم عنهم وقيل جوابها : وتنازعتم ، وقيل : وعصيتم ، والواو مقحمة زائدة ، وقيل لا جواب لها ⁽²²⁾ .

والذي يبدو ان اذا ظرفية شرطية وقد حذف جوابها للعلم به ، لان الصحابة رضي الله عنهم قد عاشوا معاناة هذا الفشل ونتائجه بل الذي يبدو ان الجواب هو قوله تعالى : (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) وان لم يقتصر بالفاء لان هذا هو الذي حصل بعد فشلهم وتنازعهم وعصيانهم لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم في معركة احد .

3. حذف الجواب لجعلة امرا هاما :

من ذلك قوله تعالى (حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها) " الزمر : 73 " قيل ان جوابها: وفتحت والواو زائدة وقيل محذوف تقديره : سعدوا او صاروا الى السعادة وقيل تقديره : دخلوها ⁽²³⁾ وقيل تقديره : كان كيت وكيت ⁽²⁴⁾ .

ومن ذلك قوله تعالى (اذا السماء انشقت واذنت لربها وحقت . واذا الارض مدت . والقت ما فيها وتخلت . واذنت لربها وحقت. يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه. فاما من اوتي كتابه بيمينه) " الانشقاق : 1- 7 " قيل ان الجواب : واذنت لربها والواو زائدة، وقيل ان جوابها : قوله تعالى (فاما من اوتي كتابه بيمينه) ، أي : اذا السماء انشقت فمن اوتي كتابه بيمينه فحكمه كذا وكذا ، وقيل ان جوابها ما دل عليه (فملاقيه) أي اذا السماء انشقت لاقى الانسان عمله وقيل الجواب فاء مضمرة كانه قال اذا السماء انشقت فيا ايها الانسان انك كادح الى ربك ، وقيل ان الجواب محذوف لعلم المخاطبين به ، أي : اذا كانت هذه الامور علم المكذبون بالبعث

ضلالهم وخسارتهم⁽²⁵⁾ وقوله تعالى (فاذا النجوم طمست) " المرسلات : 8 " قيل : ان جوابها ، (ويل يومئذ للمكذبين) " المرسلات : 15 " وقيل بانه محذوف والتقدير : بان امركم⁽²⁶⁾ وقوله تعالى (اذا دكت الارض دكا) " الفجر : 21 " قيل بان جوابها (فيومئذ لا يعذب) " الفجر : 24 " وقيل بانه محذوف وتقديره : بان الامر ونحوه⁽²⁷⁾ وقوله تعالى (حتى اذا فتحت يا جوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين) " الانبياء : 96 - 97 " في جواب (اذا) ثلاثة اقوال قال الكسائي والفراء : حتى اذا فتحت يا جوج وماجوج اقترب الوعد الحق ، والواو عندهما زائدة . واجاز الكسائي ان يكون جواب اذا (فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا) والقول الثالث : ان المعنى ، قالوا يا ويلنا ، ثم حذف ، قالوا وهذا الحدث كثير في القرآن الكريم⁽²⁸⁾ ولا يصح ما اجازه الكسائي لان اذا الفجائية اذا وقعت جوابا للشرط لا تقتزن بالفاء والذي يبدو بان جواب (اذا) في الايات التي تقدم ذكرها لم يحدد بلفظ او عبارة بصيغة جواب مذكور ذلك لتعظيمه واعمام امره .

4. حذف الجواب لمعنى معين يقتضيه المقام :

من ذلك قوله تعالى (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لاملجاً من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا) " التوبة : 118 " وجواب (اذا) محذوف تقديره : تاب عليهم ، وحذف لدلالة (ثم تاب عليهم) عليه ، وكان ذلك فيما يفهم من السياق للاشارة الى ان التوبة ، عليهم تاخرت لامتحان هذه الصفوة المختارة وليكونوا قدوة لمن بعدهم في الصبر وعدم الياس من رحمته .

5. ذكر المعربون ان جواب (اذا) حذف لكونه مفهوما من السياق في قوله تعالى (واذا سألك عبادي عني فاني قريب) " البقرة : 186 : " والتقدير : فقل اني قريب⁽²⁹⁾ .

ويبدو انه لايجوز هذا التقدير وان الجواب هو قوله تعالى (فاني قريب) ، ذلك ان القرآن الكريم استعمل صيغة فعل الامر (قل) أي : قل لهم يا محمد ﷺ في كل سياق فيه سؤال وجواب كقوله تعالى (يسالونك عن الال هل فيه قتال فيه كبير) " البقرة : 189 " وقوله تعالى (يسالونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين) " البقرة : 115 " وقوله تعالى (يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير) " البقرة : 127 " وقوله تعالى (يسالونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس) " البقرة : 219 " وقوله تعالى (يسالونك ماذا ينفقون قل العفو) " البقرة : 219 " وقوله تعالى (ويسالونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير) " البقرة : 220 " وقوله تعالى (يسالونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات) " المائدة : 4

" وقوله تعالى (يسالونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربي) " الاعراف : 187 " وقوله تعالى (يسالونك كائنك حفي عنها قل انما علمها عند الله) " الاعراف : 187 " وقوله تعالى (يسالونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول) " الانفال : 1 " وقوله تعالى (ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي) " الاسراء : 85 " وقوله تعالى (ويسالونك عن ذي القرنين قل ساتلوا عليكم منه ذكرا) " الكهف : 83 " وقوله تعالى (ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا) " طه : 105 " وقوله تعالى (ويسالونك عن المحيض قل هو اذى) " البقرة : 222 " فقد اتخذ الله سبحانه محمد ﷺ واسطة بين السائلين الذين هم الناس وبين الله المجيب عن سؤالهم في الامور التي تتعلق بقضايا الدنيا والاخرة الا في قضية الدعاء فليس ثمة اية وساطة بين العبد وربّه فايما عبد سال الله في أي مكان كان ، وفي أي وقت شاء ، وفي اية حالة هو عليها فان الله سبحانه قريب منه يسمع سؤاله ودعائه .

والدليل على ما تقدم ذكره انه لو قيل بان الاية بتقدير : اذا سالك عبادي عني فقل اني قريب لكان المعنى ان القريب من السائلين هو الرسول محمد ﷺ وليس الله، سبحانه .
وقد يرد جواب (اذا) جملة اسمية حذف احد وكنيتها الخبر او المبتدا كقوله تعالى (ان الله يامرکم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) " النساء : 58 " والتقدير : فعليكم ان تحكموا بالعدل ، وحذف شبه الجملة الدال على الامر لانه اغنى عنه قوله تعالى (ان الله يامرکم) وقوله تعالى (واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض) " فصلت : 51 " أي : فهو ذو دعاء عريض ، وحذف لكونه مفهوما من السباق وقوله تعالى (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) " يونس : 48-49 " أي فهم لا يستأخرون ، وحذف لفهمه من السياق لان المراد من الاجل اجل العذاب الذي سيصيب الساخرين المنكرين لوقوعه ومن هم على شاكلتهم .

(اذا) و (ان) :

ذكر المبرد ان (اذا) تستعمل في الشرط المتحقق الوقوع بخلاف (إن) كقوله تعالى (اذا السماء انشقت) " الانشقاق : 1 " يعني ان هذا واقع لا محالة ⁽³⁰⁾ لذلك قال تعالى (يا ايها النبي اذا طلقتم النساء) " الطلاق : 1 " لان الطلاق الاول يكثر وقوعه ، وقال تعالى (فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) " البقرة : 23 " والمقصود طلاق الرجل زوجته بعد الطلاق الاول والثاني ، وهذا نادر او قليل ما يقع وقال تعالى (اذا جاء نصر الله والفتح) " النصر : 1 " وعند نزول هذه السورة ازداد الرسول ﷺ يقينا بان نصر الله وفتحه المبين

ودخول الناس في دين الله افواجا قد تم وان عمله وجهاده قد اكمل فعادلا مسوغ لبقائه مما جعله يشعر باقترب التحاقه ﷺ بالرفيق الاعلى ، ولو نزلت السورة باستعمال (ان) ، لجعلت الرسول ﷺ يشعر بان طريق الرسالة ما زال طويلا ، وفي التفسير ان هذه السورة هي اخر سورة نزلت وعندها دعا رسول الله ﷺ فاطمة (رضي الله عنها) وقال : انه قد نعت الى نفسي (31) وقال تعالى (ان تنصروا الله ينصركم) " محمد : 7 " فنصر الله لاريب فيه ان نصر الناس دينه بيد انه قلما ينصر الناس دين الله ، وقال تعالى (فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه) " الاعراف : 131 " هكذا كان قوم موسى ﷺ من بني اسرائيل لا يشكرون الله على نعمه وما كان اكثرها في بداية ايمانهم وان اصابتهم سيئة ما يتشاءمون بنبيهم ، وقال تعالى (واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر كان يؤوسا) " الاسراء : 83 " فنعم الله سبحانه لا تعد ولا تحصى تصيب الناس كافة بيد انه من تصدى لهذه النعم بالاعراض والتكبر فلا بد من ان يمسه الشر لذلك استعملت (اذا) .

أي : أن (اذا) تستعمل في الشرط المتحقق وقوعه كثر ام قل ، وقع ام لم يقع بعد لذلك استعملت من دون (ان) فيما يتعلق بعلامات الساعة الكبرى او مشاهد يوم القيامة التي لا بد منها لانها اخبار من الله سبحانه وهو اصدق القائلين

قال الزمخشري وللجهل بموقع (ان) و (اذا) يزيغ كثير من النحاة عن الصواب فيغلطون واستشهد على ذلك ببيت لاحد الشعراء استعمل فيه (اذا) و (ان) ثم قال : (فلو عكس لاصاب) (32) .

وقد تستعمل (ان) في مقام القطع بوقوع الشرط لدواعٍ بلاغية (33) .

من هنا تبرز الحاجة الى ضرورة استنباط القواعد النحوية من القرآن الكريم قبل استنباطها من اشعار العرب التي لا تخلو مما سمي الضرورات الشعرية ولا سيما فيما يتعلق باستعمال (اذا) و (ان) لاختلاف وزنهما .

العلاقة بين صيغة الشرط ودلالته

يفيد الفعل الماضي في اللغة وقوعه في زمن مضى فاذا جاء بعد (اذا) دل في الغالب على التكرار وانقلب الى زمن الحال والاستقبال ، اما المضارع فهو في اللغة يدل على الحال والاستقبال ، فاذا جاء بعد (اذا) دل ايضا على التكرار ، ولان اذا تستعمل في الشرط المتحقق وقوعه فان شرطها غالبا ما يكون فعلا ماضيا ، فاذا جاء الشرط او الجواب فعلا مضارعا ، فلا بد من ان يكون وروده بهذه الصيغة لدلالة معينة ، فقد جاء الشرط فعلا ماضيا والجواب فعلا مضارعا في قوله تعالى (واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع) " المائدة : 83 " فلو قيل في الكلام : رايت اعينهم تفيض من الدمع لكان المراد حصول بكائهم بعد ان تم

ما تلي عليهم من القرآن الا ان ورود الجواب بصيغة المضارع يدل على ان المراد من الآية ان تكون بمعنى ان بكاءهم يبدأ من اول استماعهم لتلاوته ويستمر ما بقي يتلى عليهم ويحصل هذا في كل مرة ، وهذه الآية نزلت بحق القسيسين والرهبان من نصارى الحبشة.

وقد جاء الشرط فعلا مضارعا والجواب فعلا ماضيا كقوله تعالى (واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا) " لقمان : 7 " والمراد انه يولى مستكبرا من اول آية يسمعها لشدة كفره وعلى خلاف ذلك حال المؤمنين كقوله تعالى (واذا تتلى عليهم قالوا امنا) " القصص : 53 " انهم يقولون ذلك من اول آية تتلى عليهم لشدة ايمانهم ، اما قوله تعالى (واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا) " الانفال : 2 " والمعنى ان زيادة ايمانهم تكون بعد الفراغ من استماعهم لما يتلى عليهم ، لان زيادة الايمان تحتاج الى تدبر ما يتلى من الايات والتاثر بأسلوبها ومعانيها ولا يتم ذلك الا بعد ان يتم اصغائهم اليها ، ويحصل هذا في كل مرة ولان كلا من الشرط والجواب جاء فعلا مضارعا في قوله تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر) " الحج : 72 " دل على ان المعنى : تعرف الانكار في وجوه الكافرين من اول ما يتلى عليهم من الايات ثم يبقون في هذه الحالة ولا يفرون بل يشتد غيظهم حتى يكادون ينقضون على المؤمنين فيقتلونهم وهذا بخلاف حال غيرهم حين يفرون مستكبرين .

وقد ورد قوله تعالى (انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون) " السجدة : 15 " .

من السنة ان يهوى المسلم ساجدا مسجحا اذا تلا او استمع الى هذه الآية الكريمة او غيرها من آيات السجدة ، ولم يسن هذا فيما سواها ، لذلك جاء الجواب بصيغة الماضي ، ومن ذلك قوله تعالى (اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) " مريم : 58 " . هكذا كان حال الصالحين المتمسكين بدينهم من اتباع الرسل قبل مبعث النبي محمد ﷺ وورود الجواب بصيغة الفعل الماضي يدل على ان سجودهم كان عند استماعهم الى آيات تقابل آيات السجدة في القرآن الكريم . وقد ورد قوله تعالى (اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا) " الاسراء : 107 " والمعنى ان عددا من اهل العلم من اهل الكتاب اذا يتلى عليهم القرآن يسقطون ساجدين ، والتعبير عن هذا المعنى بصيغة الفعل المضارع يدل على احد امرين : اما استمرار سجودهم ما بقي القرآن يتلى عليهم ، واما انهم يسجدون كلما تليت عليهم آيات من القرآن فيها آية السجدة ام لا لان سجودهم هذا كان شكرا لله تعالى الذي انعم عليهم بالاسلام بعد ان كانوا مشركين على دين ابائهم واجدادهم دهرا طويلا .

المبحث الثاني : (إذا) ظرفية غير المضمنة معنى الشرط

ذكر ان (إذا) ظرفية لا شرطية في قوله تعالى (وإذا ما غضبوا هم يغفرون " الشورى : 37 " وقوله تعالى (والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون) " الشورى : 39 " لعدم اقتران الجواب بالفاء⁽³⁴⁾ والذي يبدو ان (إذا) ظرفية والجواب في الآية الاولى (يغفرون) وفي الثانية (ينتصرون) اما الضمير المنفصل (هم) فقد جاء توكيدا لان الايتين كاننا في معرض ثناء الله سبحانه على الصفوة المختارة من صحابة رسول الله ﷺ بانهم هم لا غيرهم الذين يتصفون بهاتين الصفتين اللتين قلما يتصف بهما الآخرون .

وإذا ذكر النحاة ان (إذا) تأتي ظرفية غير مضمنة معنى الشرط ، فما الفرق اذن بينها وبين الظروف ؟

والحقيقة ان (إذا) لا تأتي بمعنى الظرف كحين الا اذا استعملت ظرفا للزمن الماضي وقع شرطه وجوابه مرة واحدة ، وقد تقدم ذكر امثلتها في القرآن الكريم كقوله تعالى (حتى اذا ركبا في السفينة خرقها) " الكهف : 71 " فجاز ان يقال في الكلام : حتى حين ركبا في السفينة خرقها ، وحين لا تنفيد غير الظرفية الزمانية ، والمعنى ان الخرق كان زمن ركوبهما السفينة ، والاية باستعمال (إذا) تفيد ارتباط الجواب بالشرط بوقوعه بعده باشبهه ام تاخر عنه ، ويحتمل الامر ان في هذه الآية او يتعين الامر الاول من سبب النزول في قوله تعالى (وإذا رأوا تجارة او لهواً انفضوا اليها وتركوك قائما) " الجمعة : 11 " والمعنى انهم تفرقوا عن رسول الله ﷺ وتركوه يخطب وحده بعد ان رأوا تجارة وما صاحبها من اللهو فاذا التي سميت عند النحاة ظرفية غير مضمنة معنى الشرط انما هي في الحقيقة شرطية يؤتى بها عندما يراد شرطها دون جوابها واستعملت في القرآن الكريم للزمن الحالي وللزمن المستقبل على النحو الآتي :

1. استعملت للزمن الحالي والمستقبل كقوله تعالى (والنجم اذا هوى) " النجم : 1 " ويذكر النحاة انها بتقدير (حين هوى)⁽³⁵⁾ وان الدليل على انها ظرفية غير شرطية وقوعها بعد القسم⁽³⁶⁾ وليس الامر كذلك بل المعنى والنجم كلما هوى الان وفي الزمن المستقبل ، فقد افاد الفعل تكرار حدوثه وتحول دلالاته الزمانية من الماضي الى الحال والاستقبال وهذا يقتضي ان يكون المراد جنس النجوم التي تهوي، واذا قيل في الكلام : والنجم حين هوى، دل الفعل على وقوعه مرة واحدة وفي زمن قد مضى واقتضى هذا الامر ان يكون المراد نجما معيناً من النجوم ومن ذلك قوله تعالى (وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد) " هود : 112 " ⁽³⁷⁾ وقوله تعالى (شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان) " المائدة : 106 " ⁽³⁸⁾ وقوله تعالى (ان الانسان خلق هلوعا اذ امسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) " المعارج : 19-21 " ⁽³⁹⁾ ويذكر النحاة ايضا ان (إذا) هنا ظرفية غير مضمنة معنى الشرط ، وهذا يقتضي ان تكون بتقدير (حين) ، ولا يصح لما ذكرنا ومن ذلك

قوله تعالى (والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها ، والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها) " الشمس : 1-4 " وقد ورد الشرط فعلا ماضيا بعد (اذا) الاولى والثانية ومضارعا بعد الثالثة ، وفي كل افاد التكرار في الزمن الحالي والمستقبل الا انه فيما يبدو قد جيء بالماضي لانه اريد القسم بنور الشمس الذي يكون بوساطة القمر او بضياؤها الذي ياتي بالنهار وهو ما يقابل نور الاسلام وضياؤه ، والقسم بالليل وظلامه وهو ما يقابل الكفر والضلال ، كما يتضح من سياق السورة فكان اختلاف الفعلين في الصيغة اشارة لاختلاف شرع الله وشرع الجاهلية ، والمضارع يفيد الاستمرار غير المنقطع ، والماضي يفيد التكرار المنقطع وكذلك حال الحق والضلال ، فالحق ان ظهر في مكان اختفى في أمكنة اخرى وان ظهر في زمان اختفى في ازمدة اخرى وقلما ساد الارض او استمر في ارض معينة ، اما الضلال فهو الاغلب في اكثر الامكنة والازمنة فالمراد فيما يبدو القسم بالقمر بدرا كلما ظهر نوره بعد غياب الشمس وبالنهار وضوئه اذا جلى ظلمة الارض بعد كل ليلة غطتها بظلامها وكذلك لو قيل : والليل اذا غشاها لكان المراد القسم بالليل كلما حلّ . بعد انقضاء كل نهار ، فالمراد من قوله تعالى (والليل اذا يغشاها) القسم بالليل وهو مستمر بظلامه وليس ثمة ما ينيره ، لا بدر ولا نجم ولا ما صنع الانسان من وسائل الاضاءة ، ومن ذلك قوله تعالى (والليل اذا يغشى . والنهار اذا تجلى) " الليل : 1-2 " والمراد القسم بالليل وهو يغطي الارض بظلامه وبالنهار كلما ظهر وازال ظلمة الليل ، ومن ذلك قوله تعالى (والليل اذا يسر) " الفجر : 4 " فليس المراد القسم بالليل كلما حل بعد النهار وانما المراد القسم بالليل وهو يمضي شيئا فشيئا ومن ذلك قوله تعالى (والليل اذا عسعس . والصبح اذا تنفس) " التكوير : 17-18 " والمراد القسم بالليل كلما اقبل ظلامه او ادبر وبالصبح كلما اضاء .

2. استعملت للزمن المستقبل كقوله تعالى (فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم) " محمد : 27 " والمراد مستقبل الاحياء في الدنيا وقوله تعالى (فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه) " الاعراف : 25 " وقوله تعالى (فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) " النساء : 41 " .

والمراد جمعهم في المستقبل يوم القيامة وكذلك المجيء برسول الله ﷺ شاهدا على امته ، وهذا ما دل عليه الفعل الماضي لوقوعه بعد (اذا) وقد يجيء فعلا مضارعا كقوله تعالى (وهو على جمعهم اذا يشاء قدير) " الشورى : 29 " أي : اذا شاء ذلك يوم القيامة ، ويتحقق هذا المعنى باستعمال الماضي ، وجيء بالمضارع ليدل على ان الله سبحانه قادر على ذلك الان وفي المستقبل وفي كل زمان .

من ذكر هذه الامثلة يتبين ان (اذا) التي ذكر النحاة انها ظرفية غير مضمنة معنى الشرط تختلف عن الظروف ، فهي ليست ظرفية مجردة من كل معنى من معاني الشرط ، بل

فيها من الشرط امران ، الاول : ان الفعل الماضي بعدها يفيد تكرار حدوثه والثاني : انه تتغير دلالاته من الزمن الماضي الى زمن الحال والاستقبال ولم تفقد من الشرط الا الجواب ، وهذا يعني ان (إذا) الشرطية في القرآن الكريم تأتي على ثلاثة اقسام : قسم ذكر شرطها وصرح بجوابها ، وقسم ذكر شرطها وحذف جوابها لوجود ما يدل عليه او لكونه مفهوما من السياق وقسم اكتفى بشرطها ولم يذكر جوابها لعدم الحاجة اليه ويجمع النحاة على ان (ما) اذا وقعت بعد (إذا) فهي زائدة للابهام او للتوكيد ⁽⁴⁰⁾ وقد وردت (ما بعد (إذا) في القرآن الكريم في عشرة مواضع كقوله تعالى (حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) " فصلت : 20 " وقوله تعالى (ويقول الانسان اء اذا ما مت لسوف اخرج حيا) مريم : 66 " .

والحقيقة ان (ما) بعد (إذا) ليست زائدة ، بل هي ترد لمعنى اساسي ، وقد فصلنا هذه القضية في رسالتنا الموسومة بـ (وما) في القرآن الكريم دراسة نحوية .

المبحث الثالث : (إذا) الفجائية

تعريفها :

(إذا) الفجائية ظرف زمان عند النحاة ⁽⁴¹⁾ وظرف اسم مكان عند بعضهم ⁽⁴²⁾ وحرف عند آخرين ⁽⁴³⁾ والراجح انها ظرفية زمانية .

عاملها :

اختلفت في عامل (إذا) الفجائية فمنهم من ذكر ان عاملها مشتق من لفظ المفاجأة ومنهم من ذكر ان عاملها هو الخبر ⁽⁴⁴⁾ وقد مر ان الراجح في (إذا) الفجائية انها ظرف زمان فهي اذن منصوبة على الظرفية الزمانية .

ارتباط (إذا) الفجائية بالفاء :

الاصل في (إذا) الفجائية ان لا ترتبط بالفاء وقد جاءت مرتبطة بالفاء نحو : خرجت فاذا الاسد ، وقد اختلف فيها فمنهم من قال بانها زائدة ومنهم من قال بانها عاطفة ومنهم من قال بانها فاء الجزاء ⁽⁴⁵⁾ وقد جاءت في القرآن الكريم مرتبطة بالفاء في مواضع وغير مرتبطة في مواضع اخرى . ويبدو ان (إذا) الفجائية لا ترتبط بالفاء عندما يراد عدم التاكيد على ان حصول ما بعدها باشر حصول ما قبلها كقوله تعالى (فلما انجا هم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق) " يونس : 23 " فيظهر من عدم استعمال الفاء ان بغيمهم في الارض حصل بعد نجاتهم، ومثل ذلك قوله تعالى (فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون) " الزخرف : 50 " اما عندما يراد التاكيد

على ان حصول ما بعدها باشر حصول ما قبلها استعملت الفاء كقوله تعالى (فاصبح في المدينة خائفا يترقب فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه) " القصص : 18 " .

فحالة خوف موسى عليه السلام وحالة الاستجداء به حصلتا في وقت واحد ومن ذلك قوله تعالى (حتى اذا فرحوا بما او توا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون) " الانعام : 44 " والذي يؤيد هذه الارادة في هذه الاية لفظة (بغتة) وقوله تعالى (فالقي عصاه فاذا هي ثعبان مبين ، ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين) " الاعراف : 107-108 " والمعروف في كتب التفسير ان العصا تحولت الى ثعبان حال القائها والثعبان المبين : الحية الذكر فتحولت حية عظيمة فاغرة فاها مسرعة الى فرعون ، فلما رآها انها قاصدة اليه تحول عن سريره واستغاث بموسى ان يكفها عنه⁽⁴⁶⁾ وقد تم حصول القاء العصا وتحولها الى افعى ونزع يده وبياضها في وقت واحد ومقام واحد ، ومثل ذلك قوله تعالى (واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يافكون) " الاعراف : 117 " وقوله تعالى (قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى) " طه : 66 " وقوله تعالى (واية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون) " يس : 37 " فالليل يعقب النهار ومتصل به ، لذلك كثر اقتران (اذا) الفجائية بالفاء في مشاهد يوم القيامة لشدة احوالها واتصال كرباتهما كقوله تعالى (واقترب الوعد فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا) " الانبياء : 97 " وقوله تعالى (ان كانت الا صحبة واحدة فاذا هم خامدون) " يس : 29 " وقوله تعالى (ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون) " يس : 51 " وقوله تعالى (ونفخ في الصور فصعق من في السماوات والارض ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون) " الزمر : 68 " وقوله تعالى (فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة) " النازعات : 13-14 " مما تقدم ذكره يتبين ان (اذا) الفجائية كثر استعمالها في الامور الاتية :

1. في الامور التي تبين ان الانسان بصفته عامة سرعان ما ينقض العهد مع الله سبحانه وتعالى وينكر نعمته عليه .

2. مجيء نقمة الله على عباده بعد ان تطغيهم نقمة الله عليهم .

3. في امور المعجزات التي اعطاها الله لرسله

4. في الامور التي تتعلق بمشاهد القيامة ، وقل استعمالها او ندر في امور الخير كقوله تعالى

(ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي

حميم) " فصلت : 34 " ⁽⁴⁷⁾ فاذا هنا فجائية ، وهذا الخير قلما يفاجأ به الانسان لذلك قال

سبحانه (وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) " فصلت : 35 " .

وقوع (إذا) الفجائية جوابا للشرط :

يذكر النحاة ان (إذا) الفجائية تقع جوابا للشرط عوضا عن الفاء كقوله تعالى (وان تصيبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون) " الروم : 36 " وقال ابن هشام ان هذا جائز اذا كانت الاداة (ان)⁽⁴⁸⁾ بل جاز ذلك ايضا ان كانت الاداة (اذا) كقوله تعالى (فاذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر في اياتنا) " يونس : 21 " وقوله تعالى (ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون) " النحل : 54 " وقوله تعالى (حتى اذا اخذنا مترفهم بالعذاب اذا هم يجأرون) " المؤمنون : 64 " وقوله تعالى (واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون) " الزمر : 45 ".

و(إذا) الفجائية تقع جوابا للشرط عوضا عن الفاء ، وقد وقعت جوابا لـ(ان) و (اذا) الشرطيتين دون سواهما من ادوات الشرط ، وقد اغنت عن (الفاء) لان المفاجأة والتعقيب متقاربان⁽⁵⁰⁾ وترد (ان) في اللغة ناصبة للفعل المضارع بشروط ، ولم ترد في القرآن الكريم، لكن وردت (اذا) بالتثنية كقوله تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون) " المؤمنون : 91 " وهي حرف جواب عند النحاة⁽⁵¹⁾ .

الخاتمة ونتائج البحث:

تبين من البحث ما يأتي :

1. ان (إذا) الشرطية في القرآن الكريم لم تنحصر دلالتها على الزمن المستقبل بل جاء الفعل بعدها ، الشرط والجواب في امثلة غير قليلة دالا على الزمن الماضي لفظا ومعنى .
2. لم يدل الشرط والجواب بعد (إذا) على التكرار دائما بل جاء في امثلة دالا على الافراد .
3. ورد شرط (إذا) وجوابها في الاغلب فعلا ماضيا وقل ورودهما فعلا مضارعا لانها استعملت في الشرط المتحقق وقوعه .
4. لم يرد جواب (إذا) فعلا مضارعا مقترنا بقد وهو غير مسبوق بحرف ، ولم يرد ايضا فعلا ماضيا مقترنا بالفاء او قد .
5. جاء جواب (إذا) مرتبطا بالفاء عند اختلافه عن شرطه في الدلالة الزمانية او الطلبية او الثبوتية وورد غير مرتبط بها عند اتحاده او اقترابه مع شرطه في الدلالة الاولى .
6. ورد دخول (إذا) على الاسم فيما يتعلق بمشاهد القيامة وفيما عظم امره من هذه المشاهد وافاد وقوعه اول مرة .
7. كثيرا ما حذف جواب (إذا) لوجود ما يدل عليه او للعلم به او لاعمامه وتعظيمه او لكونه مفهوما من السياق او لمعنى معين يقتضيه المقام .
8. تبين ان (إذا) التي سميت عند النحاة ظرفية غير مضمنة معنى الشرط انما هي في الحقيقة (إذا) الشرطية لكن اكتفي بشرطها دون جوابها .
9. كثر استعمال (إذا) الفجائية فيما يحذر منه وقل بل ندر استعمالها فيما يتفاد به ، لذا فهي اقرب الى معنى المباغته من معنى المفاجأة .
10. ذهب النحاة الى ان الاصل في (إذا) الفجائية ان لا ترتبط بالفاء وقد تبين وجوب ارتباطها بالفاء عند ارادة معنى التعقيب .
11. عدم ارتباط (إذا) الفجائية بالفاء عند وقوعها جوابا للشرط لقيامها مقامها ربطا وتعقبا .

الهوامش والمصادر والمراجع

- (1) كشف الشكل في النحو للحيدرة اليميني (ت:599هـ) علي بن سليمان، تحقيق الدكتور هادي عطية مطر، الطبعة الاولى، مطبعة الارشاد، بغداد، 1404هـ-1984م / 1 / 459-462.
- (2) المصدر نفسه والصفحة نفسها .
- (3) الامالي النحوية ، امالي القرآن الكريم لابن الحاجب (ت:646هـ) ابو عمرو عثمان بن عمر ، تحقيق هادي حسن حمودي ، الطبعة الاولى 1405هـ-1985م / 4 / 138 ومغني اللبيب عن كتب الاعاريب لابن هشام (ت:761هـ) ابو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن احمد بن هشام الانصاري المصري: تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة 96/1 .
- (4) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزي (ت:751هـ) ابو عبدالله محمد بن ابي بكر الدمشقي، ادارة الطباعة المنبرية، مصر (د-ت) 45/1-46، وحاشية محمد الخضري على شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك (ت:1287هـ) مطبعة دار احياء الكتب العربية، مصر (د-ت) 122/2 .
- (5) فعل الشرط ودلالته وزمانه ، بحث للدكتور فاضل السامرائي ، منشور في مجلة الضاد ، الجزء الاول جمادي الاخرة 1408هـ-شباط 1988م ص108-112 .
- (6) الكتاب لسيبويه (ت:180هـ) ابو بشر عمرو بن عثمان ، تحقيق عبد السلام هرون ، الطبعة الاولى ، دار العلم ، القاهرة 1966م ، 4/232 وكشف المشكل في النحو 1/459 وشرح المفصل لابن يعيش (ت:643هـ) موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي ، القاهرة 1386هـ/4 96 .
- (7) شرح الرضي على الكافية ، الرضي الاستربادي (ت:686هـ) محمد بن الحسن تحقيق يوسف حسن عمر ، بيروت 1398هـ-1978م 3/185 .
- (8) شرح الرضي 3/184 ومغني اللبيب 1/95 .
- (9) الامالي النحوية لابن الحاجب 1/22-23 والجنى الداني في حروف المعاني للمراذي (ت 749هـ) حسن بن قاسم ، تحقيق : طه محسن ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، 1396هـ - 1976م ، ص124-125 . ومغني اللبيب ، 1/164 .
- (10) المقتضب للمبرد (ت:285هـ) محمد بن يزيد ، تحقيق عبد الخالق عزيمة دار الكتب القاهرة 1955م 2/79 واعراب القرآن للنحاس (ت:338هـ) ابو جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل ، تحقيق زهري غازي زاهد ، مطبعة العاني ، بغداد ، 3/632 .
- (11) الامالي النحوية لابن الحاجب 2/40 .

- (12) شرح الرضي على الكافية 174/3 .
- (13) شرح المفصل لابن يعيش ، 97/4 وشرح ابن عقيل على الفية ابن مالك المتوفى 679هـ بهاء الدين عبد الله تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط14 ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1385هـ-1965م ، 61/2 .
- (14) اعراب القرآن للنحاس 469/2 .
- (15) الجنى الداني ، ص124 .
- (16) التبيان في اعراب القرآن للعكبري (ت:616هـ) ابو البقاء عبد الله بن الحسين ، تحقيق محمد علي البجاري، احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، مصر، 1976، 1160/2.
- (17) المصدر نفسه ، 131/1 .
- (18) المصدر نفسه ، 1286/2 .
- (19) المصدر نفسه ، 186/1 .
- (20) الامالي النحوية لابن الحاجب 22/1-23 ومغني اللبيب 98/1 .
- (21) التبيان في اعراب القرآن 1163/2 .
- (22) المصدر نفسه ، 301/1 . وفتح القدير ، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكانى، ت: 1250هـ ، محمد بن علي محمد ، تحقيق : الدكتور محمد عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء للطباعة والنشر ، ط1 ، 1415هـ - 1994م ، 431/1.
- (23) المقتضب للمبرد 81/2 ، ومعاني القرآن واعرابه للزجاج (ت:311هـ) ابو اسحاق بن ابراهيم السري ، تحقيق د. عبد الحليل عبده شلبي ، دار الحديث ، القاهرة ، 1424هـ-2005م 274/4-275 والجامع لاحكام القرآن للقرطبي ت : 671هـ ، عبد بن محمد بن احمد الانصاري ، دار احياء التراث الاسلامي والعربي ، بيروت ، الطبعة الاولى ، 1416هـ - 1996م ، 85/15 ، وفتح القدير ، 431/1 .
- (24) مغني اللبيب ، 362/2 .
- (25) المقتضب 79/2-80 ومعاني القرآن واعرابه ، 8 234/5 ، والجامع لاحكام القرآن ، 271-270/19 .
- (26) التبيان في اعراب القرآن 1262/2 .
- (27) البيان في غريب اعراب القرآن لابي البركات بن الانباري (ت:577هـ) تحقيق الدكتور طه عبد الحميد مراجعة مصطفى السقا، القاهرة، 1389هـ-1969 ، 512/2 .
- (28) معاني القرآن واعرابه 329/3 واعراب القرآن للنحاس 384/2 ، والتبيان في اعراب القرآن 927/2 وحاشية الخضري على شرح ابن عقيل 124/2 .

- (29) التبيان في اعراب القرآن ، 153/1 .
- (30) المقتضب 56/2 ، والايضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني (ت:739هـ) جلال الدين ابو عبدالله محمد، مطبعة محمد علي صبيح، مصر، 1385هـ-1966م ، ص53 .
- (31) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ت:774هـ) عماد الدين ابو الفداء ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت 1388هـ-1969 ، 561/4 .
- (32) الايضاح في علوم البلاغة ، ص54 .
- (33) الايضاح ص54-57 والجنى الدائي ، ص232-233 .
- (34) الامالي النحوية لابن الحاجب 22/1-23 ومغني اللبيب 100/1 .
- (35) اعراب القرآن للنحاس ، 261/3 .
- (36) الامال النحوية ، 23/1 ومغني اللبيب 95/1 .
- (37) التبيان في اعراب القرآن ، 713/1 .
- (38) المصدر نفسه ، 466/1 .
- (39) المصدر نفسه ، 1240/2 .
- (40) شرح المفصل لابن يعيش ، 98/4 ، ومغني اللبيب ، 413/1 .
- (41) المقتضب ، 57/2-58 .
- (42) شرح المفصل لابن يعيش ، 88/4 .
- (43) مغني اللبيب ، 87/1 .
- (44) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
- (45) الجنى الداني ، ص128 ، ومغني اللبيب 167/1 .
- (46) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، 236/2 .
- (47) التبيان في اعراب القرآن ، 1127/2 .
- (48) الكتاب لسبيويه 64/3 وشرح المفصل لابن يعيش 99/4 ووضح المسالك على الفية ابن مالك لابن هشام ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1418هـ-1998م ، 192/4 ، وشرح ابن عقيل 376/2 .
- (49) اعراب القرآن للنحاس 55/2 وشرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة التاسعة ، مطبعة السعادة ، مصر 1382 هـ -1963 م ، ص342 .
- (50) شرح المفصل لابن يعيش 99/4 .
- (51) مغني اللبيب ، 20/1-21 .